إِحْكَامِ الغَوْصِ
في الرَّدِ عَلَى شُبَهِ مَنْ دَافَعَ عَنِ الحُوَيْنِيِّ كَالْغَزِّي وَأَبِي حَفْصٍ

لأبي بكر بن ماهر بن عطية بن جمعة المصري

-الحلقة الثانية-

قال أبو حفص:

(وهناك أمر هام جداً وهو: قد يختلف أهل العلم في الصور العملية للكفر المخرج من الملة مثل:

١- الاستهانة بالمصحف، كيف يكون؟

٢- الاستهزاء بالدين أو بالسنة؟

٣- الاستكبار علي أمر الله، فمتى يكون الرجل مستكبراً على أمر الله، فهذا المثال الذي ذكره الشيخ يندرج تحت هذا القسم - وإن كنا نخالفه في ذلك — .

٤- تكذيب الله ورسوله، فقد يختلف أهل العلم في أمر هل هذا تكذيب أو لا يعد تكذيباً؟) اهـ

أقول: فماذا كان -يا أبا حفص- من ذكرك لذلك؟! هلا رجحت الراجح بدليله، وأحققت الحق بدليله، ورددت المرجوح، وأبطلت الباطل —إن كنت من أهل العلم والترجيح؟ وإلا فأعط القوس باريها، وبخاصة في مثل هذه الأمور الخطيرة المتعلقة بالتكفير. وهلا نصصت لنا على أهل العلم هؤلاء الذين يختلفون فيما ذكرت؟!

أقول: وها هنا أمور أنبه عليها:

الأول :لابد أن يكون المختلف من أهل العلم حتى يعتد بخلافه ووفاقه، لا من أهل الجهل، ومعلوم أن المقلد جاهل، وقد ذكر ابن عبد البر -رحمه الله -في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" أنه قد أجمع العلماء على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم، أو كما قال -رحمه الله- وإذا كان إجماع الجهال والمقلدة غير معتد به وغير معتبر، فإن خلافهم غير معتد به وغير معتبر، وغير خارق لإجماع أهل العلم من باب أولى .

الثاني :لابد أن يكون الخلاف معتبراً

قال الناظم:

وليس كل خلاف جاء معتبراً ..... إلا خلافاً له حظ من النظر

وإلا فقد خالف بعض العلماء المعروفين والحفاظ المشهورين والأئمة السابقين في بعض صفات الله عز وجل، كالاستواء وغيره ولم يكن ذاك الخلاف معتبراً أبداً، لمخالفته الكتاب والسنة والإجماع وكان ذاك الخلاف مطروحاً مردوداً على صاحبه كائناً من كان إذ لم يكن خلافه بشيء .

الثالث :وجوب بيان الحق في المسائل الخلافية عموماً وفى المسائل المنهجية والأصولية خصوصاً، ووجوب إحقاق الحق وإبطال الباطل خاصة إذا كانت المخالفة تتعلق بتكفير من أصله وظاهره الإسلام .

لما يترتب على الحكم بكفره وردته من أحكام أخري كثيرة وعظيمة وخطيرة كقتله، وفسخ

عقد نكاحه، والتفريق بينه وبين زوجه، وعدم تغسيله وعدم تكفينه، وترك الدعاء له والاستغفار له والصلاة عليه، وعدم دفنه في مقابر المسلمين وعدم توريث ورثته المسلمين من تركته وإرثه، ورد ماله إلى بيت مال المسلمين.

الرابع :إذا كان يجب ترك ورد الكلام الموهم للباطل، فرد وترك الكلام الباطل عموماً واجب من باب أولى، وتركه ورده إن كان متعلقاً بمنهج أهل السنة والجماعة أو أصل من أصولهم واجب من باب أولى وأولى. والعود إلى الحق أحمد، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، قال تعالى :((وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا)) وقال تعالى ((وَالصُّلْحُ خَيْرٌ((

الخامس :لأن يحكم المرء بإسلام مسلم مختلف في ردته أسلم له وأبرأ لذمته من الخطأ في الحكم بردته، ذلك لأن الحاكم بإسلامه مستصحب لأصل الإسلام، والحاكم بردته خارج عن هذا الأصل، وفي ذلك مخاطرة عظيمة، وذلك بالتعرض للوعيد الشديد الأكيد لمن كفر أحداً من أهل الإسلام والتوحيد، أضف إلى ذلك ما قد علمته مما يترتب علي تكفيره في الأمر الثالث مع أن الأصل في المسلم حرمة دمه وماله وعرضه .

السادس :ذكر ابن القيم –رحمه الله تعالى– في القصيدة النونية المسماة بـ "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" ما ملخصه أن المخالفين علي أربعة أصناف أو أقسام: قسم المعاند الكفور، وقسم المقلد الموزور، وقسم الجاهل المعذور، وقسم المجتهد المأجور .

وعلى كل حال فإنه يجب رد الباطل على صاحبه من أي قسم كان. وقد خاطب الله –عز وجل– المؤمنين بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً(

وقوله تعالى (شيء) نكرة في سياق الشرط تفيد العموم، فيجب الرد حال التنازع في أي شيء مهما كان إلى الله والرسول، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته وإلى سنته بعد موته –صلى الله عليه وعلي آله وسلم– هذا كلام أهل العلم.

السابع :الإعلام بأن أنواع الاختلاف ثلاثة: اختلاف تنوع، واختلاف أفهام، واختلاف تضاد

فأما ما كان من باب اختلاف التنوع: فقد وجب قبوله كله إذ جاءت الشريعة بكل صوره ووجوهه، ورد شيء منه يعتبر رداً لجزء من الشريعة، والسنة فيما كان من هذا الباب هي الإتيان بهذا تارة وبذاك تارة أخري، ومن لم يستطع الإتيان بجميع تلك الصور والوجوه للعبارة الواحدة فليختر أصحها، وليعمل به .

مثال ذلك: صيغ التشهد، وصيغ الصلاة على النبي- صلي الله عليه وعلى آله وسلم- ونحو ذلك.

وأما ما كان من باب اختلاف الأفهام :فقد وجب على المجتهد فيه ترجيح الراجح بدليله ورد المرجوح، ووجب على من لم يعلم أن يسأل العلماء في هذا، قال تعالى: ((فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)).

والأصل في هذا النوع من أنواع الخلاف أنه لا يعنف فيه المخالف المجتهد، فمن أمثلة ذلك الاختلاف في تحريك الإصبع في التشهد أو الاكتفاء بالإشارة بلا تحريك، ووضع اليد اليمنى على اليد اليسرى في الصلاة بعد الركوع أو إرسالهما، وغير ذلك من المسائل الفقهية التي يسوغ في مثلها اختلاف المجتهدين بحيث يكون فيها احتمالات بعضها أقوى من بعض، ويسعنا في مثل هذه الاختلافات ما وسع السلف، وما أكثر أمثلة هذا النوع من أنواع الاختلاف في كتب الفقة، وأسباب هذا النوع من الاختلاف كثيرة، منها اختلاف العلماء في توثيق راو وتضعيفه مما يؤدي إلى اختلافهم في تصحيح حديث وتضعيفه، وهذا يؤدي بدوره إلى إثبات بعض الأحكام أو نفيها، إلى غير ذلك مما هو مدون ومبثوث ومبسوط في مظانه.

وأما ما كان من باب اختلاف التضاد: فهو مخالفة الرأي العاري عن الدليل والبرهان للدليل والبرهان من الكتاب والسنة ومعارضته ومصادمته ومضادته ومناقضته لهما، فمثل هذا الخلاف مذموم وغير سائغ، ويجب رده على صاحبه كائناً من كان وبخاصة إن كان مجادلاً بالباطل أو معانداً أو داعيًا إلى ضلالة أو صاحب تبليس، وبخاصة إن كان مثله ممن يقتدى به ويتأثر به ويغتر به ويتبعه على رأيه وهواه أتباع أو كان يحزب الناس على باطله، فالإنكار والتشنيع على أمثال هؤلاء المخالفين يتفاوتان بتفاوت حال كل مخالف، قال تعالى: ((اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ((

وقال تعالى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا((

وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ((

وقال تعالى)) :فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ((

وقال تعالى: ((وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا ((

وقال تعالى)) :فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ((

وقال تعالى: ((إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ((

وقال تعالى: ((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ((

وقال تعالى: ((وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ* وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ((

وقال تعالى: ((قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)) فالمسلم المخالف للكتاب والسنة أو المخالف لله والرسول له نصيب من هذه الآية بقدر توليه عن طاعة الله والرسول وإن لم يكفر بمخالفته .

وقال تعالى: ((ومَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ((

وقال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا((

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله تعالى– في تفسير سورة الأحزاب:

)ثم قال: ((يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا)) أي: يسحبون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله: ((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا)) [الفرقان :٢٧ -٢٩]، وقال تعالى: ((رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ)) وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا: ((وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ((وقال طاووس: "سادتنا: يعني الأشراف، وكبراءنا: يعني العلماء" رواه ابن أبي حاتم، أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئاً وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء) اهـ [تفسير ابن كثير المجلد الثالث، ج٦ ص ٣٠٠، ط المكتبة التوفيقية[

قلت: والمقصود في كلام طاووس هو طاعة العلماء المخالفين للشرع كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: ((اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ((

والآيات القرآنية التي تذم المخالفين لله والرسول والتي فيها التهديد والوعيد لمن لم يطع الله ورسوله واتبع هواه أو هوى غيره كثيرة، منها قوله تعالى: ((فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ((

وقال تعالى: ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ((

وقال تعالى: ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)) والله المستعان.

هذا ما تلخص لي من كلام أهل العلم مع ما أضفته، والله أسأل أن يهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الثامن :لا يجوز التهوين من شأن المخالفة للشريعة، وبخاصة إذا كانت متعلقة بمنهج أهل

السنة والجماعة أو بأصل من أصولهم، وقد قال تعالى: ((قد جعل الله لكل شيء قدراً)) وقال عز وجل بخصوص الإفك: ((إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)) وفي صحيح البخاري عن أنس –رضي الله عنه –قال: "إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر إن كنا لنعدها على عهد رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– من الموبقات" أو كما قال –رضي الله عنه– واعلم أن وضع الشيء في غير موضعه ظلم، وأنه لا ينبغي إنعاش البدع والأهواء والأخطاء بطريق التذرع للمبتدعين والمخطئين بالاتكاء على أخطاء الأئمة المجتهدين، كأن يقال: قد أخطأ فلان من العلماء، أو زل فلان من الأئمة، ونحو ذلك، فهذا سبيل إقرار البدع والأخطاء وليس بسبيل إنكارها وردها، وما بمثل هذا التذرع والتشبث تنصر السنن وتدفع الأخطاء والبدع.

أوردها سعد وسعد مشتمل ..... ما هكذا تورد يا سعد الإبل

إذ إننا بصدد رد الباطل على صاحبه كائناً من كان بغض النظر عن كونه معذوراً أم لا. ثم إننا نقول لمن يتذرع ويتشبث بالعلماء، إما أن يكون هؤلاء العلماء معذورين في أخطائهم، وإما أن يكونوا غير معذورين، فلا ينفعك التشبث بهم والاتكاء عليهم، وإن كانوا معذورين فليس لك أن تعتذر لغيرهم ممن ليس مثلهم بأعذار غير مقبولة أو بانتحال أعذار واهية أو أعذار هي أقبح مما وقعوا فيه من المخالفات بحيث لا يعذرون بها، وليس الثرى كالثريا ولا العرش كالفرش، وقد قال تعالى: ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)) وقال تعالى: ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ)) وقال تعالى)) :وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ((ومن ألحق الشيء بنقيضه كان إلحاقه وقياسه فاسد الاعتبار لوجود الفارق بل هو من أفسد أنواع الأقيسة وهل يستقيم الظل والعود معوج؟!

التاسع :معلوم أن الحي لا تؤمن عليه الفتنة بخلاف الميت، فقد عُلم إلى أي شيء آل أمر

الميت في ظاهر الأمر، وإلى أي حد صار شأنه، أما الحي فلا نعلم إلى أي شيء يؤول أمره، ويصير حاله، ولما كان السكوت عن أخطاء الحي ومخالفاته لا يؤمن معه تماديه في الأخطاء أو الزلات أو الأهواء والبدع كان الواجب -والشأن ما ذكر- هو بيان تلك الأخطاء أو الزلات أو الأهواء والبدع التي وقع فيها صاحبها حتى لا يتمادى به الأمر إلى الوقوع في أمثالها وأضعافها فيزداد الطين بلة، ويتسع الخرق على الراقع، والفتق على الراتق، وليس معنى ذلك هو السكوت عن بيان خطأ الحي -إن فُرِضَ الأمن من تماديه في الخطأ- وليس معنى هذا أيضًا السكوت عن بيان خطأ الميت الذي قد عرف مآل أمره الظاهر، وإنما المقصود هو أن الحي لا يؤمن عليه الوقوع في الفتنة، وإن وقع فيها فلا يؤمن عليه الإسراع فيها، والتمادي فيها، والاغترار به فيها، والاقتداء به فيها .

وليعلم أنه يجب رد خطأ المخطئ وضلال الضال حياً كان أو ميتاً، وقد تعظم البلية والفتنة بالميت لما خلفه من باطل منشور مقروء أو مسموع وقد تموت فتنته بموته أما الفتنة بالأحياء فهذا أمر ذائع مشهور وقد ذكره الله عز وجل عن المشركين حيث قال سبحانه وتعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ))

وقال عز وجل)) :وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ((

وقال تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ((

وقال تعالى: ((إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ((

وقال تعالى: ((وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ. وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ* قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَـــــــــــــذِّبِينَ ((

إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على عظم فتنة الناس بالأحياء وبخاصة فتنتهم بالآباء، فاجعل إنكارك على قدر مخالفة المخالف وعلى قدر الاغترار به والاقتداء به والفتنة به في ذلـــــــــك والله المســـــــــــتعان.

العاشر :اعلم أن التهوين من أمر بيان الحق في المسائل الخلافية يغلق باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب إحقاق الحق وإبطال الباطل ويفتح أبواب المنكرات والأخطاء والأهواء على مصاريعها ويفتح باب الجرأة على تلك الأخطاء والمنكرات والأهواء ولا يخفى ما في هذا من الشر المستطير كما أن في هذا تعطيلاً للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاثة على اتباع الحق وترك الباطل والحاثة والآمرة بالرد حال التنازع إلى الله ورسوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– فما أكثر المسائل الخلافية وما أقل الإجماعات النظرية فضلاً عن الإجماعـــــــــات القطعيـــــــــة .

وبهذا تعلم أن الذين ينكرون على أهل العلم الذين يبينون أخطاء المخطئين وضلال الضالين المضلين هم أصحاب الفتنة حقاً، لأنهم تركوا ما كان عليه أمر رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– من إحقاق الحق وإبطال الباطل وبيان ما عليه أهل الضلال والكفر من مخالفات للحق، وقد قال الله تعالى)) :فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِـــــــــيبَهُمْ عَـــــــــذَابٌ أَلِـــــــــيمٌ ((

فجزى الله الشيخ ربيع بن هادي المدخلي خيراً على ما قام به من بيان مخالفات أهل البدع والأهواء في هذا العصر، وعلى ولوجه هذا الباب –أعني باب التحذير من الأهواء والأخطاء– بقوة امتاز بها في هذا العصر وخصوصاً في هذا الوقت الذي تكالب فيه على السنة وأهلها أهل الأهواء –أرغم الله أنوفاً هم حاملوها– وقد قال الله تعالى لنبيه يحيى ((يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)) وقال تعالى عن نبيه وكليمه موسي)) :وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا)) فما أقل هذا الصنف من العلماء في هذا العصر، وصدق النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– إذ قال فيما صح عنه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "تجدون الناس كإبل مائه لا يجد الرجل فيها راحلة" الحديث رواه مسلم في صحيحه آخر كتاب فضائل الصحابة (برقم ٢٣٢–

[٢٠٤٧]) ط. دار ابـــــن رجـــــب، الطبعـــــة الأولى لســـــنة ١٤٢٢هـــــــ.
إن هذا الرجل المدخلي هو عندي يعدل أمة كما أنه عندي يُشبه بابن تيميه -رحمه الله - أحســــــبه كـــــذلك، والله حســــــيبه، ولا أزكـــــي علـــــى الله أحـــــداً.
ولقــد كــذب مــن سمــى الســلفيين بالمداخلــة ومــع ذلــك فــإني أقــول :
إن مــدخلياً كــان ناصــرُ ديننــا .... فليشـــهد الـــثقلان أني مــدخلي
فجزاه الله خيراً وجزى الله إخوانه العلماء الذين شاركوه في التحذير من أهل البدع والأهواء وبيـــــــــان مخالفـــــــــات المخـــــــــالفين خـــــــــيراً.
قال أبو حفص: (إن الشيخ الحويني -حفظه الله وبارك في عمره- عندنا في مصر يعتبر من أشد الناس محاربة لفكر (الخوارج والتكفير) وأيضاً قضى على فكر (التوقف والتبين) في بلدته كفر الشيخ فبدلاً من أن نشنع عليه لأنه أخطأ -من وجهة نظرنا في ضرب المثال- فنقوم بتنبيهـــه لكـــي يختـــار مثـــال) كـــذا) أوضـــح لا إشـــكال فيـــه) اهـــ
أقـول: سـيأتي الكـلام علـى هـذا في محـل آخـر -إن شـاء الله- إن علمـت هـذا
يـــا أبـــا حفـــص فـــلا تعجـــل علينـــا .... وأنظرنـــا نخـــبرك اليقينـــا.
قال أبو حفص) :وللفائدة: كثير من الطلاب يدرسون شروط لا إله إلا الله ومنها (القبول المنافي للرد) ونظراً لأن هذا الأمر لم يأخذ العناية الكافية من الشراح، فإذا سألت أحد الطـلاب أن يضـرب لـك مـثلاً لهـذا الأمـر فسـوف تـري عجبـاً عجـاب (اهـ
أقول: لا أدري لماذا ساق هذا الكلام إلا أن يكون من باب التشويش على الحق، ذلك لأنه يخالف الحويني فيما حمل مثاله عليه كما مر، فلا يصح أن يقول أو يقال إنه يعتذر عن الحويني بأن الحويني قد مثل بمثال صحيح لشرط (القبول المنافى للرد) لما قد علمت من مخالفته للحويني فيما حمل مثاله عليه وإلا وقع في التناقض بحيث يكون ما نفاه في موضع أثبته في آخـــر.
ثانياً: إما أن يكون هو من الطلاب أو الشراح الذين قال فيهم مقالته أنفة الذكر وإما أن لا يكون منهم، فإن لم يكن من هؤلاء الطلاب ولا الشراح الذين ذكرهم بالوصف المذكور في كلامه، فلابد أن يكون إما من الطلاب الذين إذا سألت أحدهم أن يضرب لك مثلاً لشرط (القبــول المنــافي للــرد)، أجابــك بحيــث لا تــرى منــه خطــأً ولا عجبــاً عجابــاً!!

وإما أن يكون من الشراح الذين أولوا هذا الأمر -ألا وهو الشرط المذكور- العناية الكافية، فإن كان من هؤلاء الطلاب الألباء النجباء، أو من هؤلاء الشراح الفقهاء الفهماء، فلابد أن يكون على دراية -بمثال صحيح واحدٍ على الأقل لهذا الشرط المذكور- خاصةً أنه خالف الحويني فيما حمل مثاله عليه، فكان المقام مقتضياً لأن يذكر مثالاً واحداً على الأقل لمسيس الحاجة إلى هذا المثال في هذا المقام، خاصة أن كثيراً من الطلاب الذين يدرسون شروط لا إله إلا الله ومنها (القبول المنافي للرد) وكذلك الشراح -على حد زعمه- بالوصف الذي ذكر .

أم الشأن أن يقال: إن فاقد الشيء لا يعطيه؟! وهو أيضا حينما ذكر ما ذكره وادعاه من أنه قد يختلف أهل العلم في الصور العملية للكفر المخرج من الملة، لم يبين لنا الراجح الذي يذهب إليه في هذه المسائل الخطيرة كما سبق !!

وتذكر أنه خالف الحويني في الصورة الثالثة -التي هي الاستكبار على أمر الله- !! فها هو هنا وهناك يذكر كلاماً ولا يذكر جواباً ولا إزالة لإشكال، فما قيمة الإخبار بوجود خلاف في تلك الصور العملية للكفر المخرج من الملة دون أن يذكر الحق والصواب في ذلك؟! هذا إذا كان لهذا الخلاف في تلك الصور وجود بين أهل العلم، أليس هذا تهويشاً على الحق، خاصة أنه خالف الحويني فى الصورة الثالثة كما سبق؟ !

وما قيمة إخباره هنا بما أخبر به عن هؤلاء الطلاب والشراح؟

أقول: ما فائدة هذا الإخبار خاصة إذا علم أنه يخالف الحويني فيما حمل مثاله عليه؟! أليس هذا تهويشًا على الحق؟ !

أقول: وبنحو تلك القرائن يتهم أهل العلم أصحابها باتباع الهوى وكلما كثرت وقويت القرائن قويت التهمة، وليس هذا من باب الحكم على البواطن والسرائر العارية عن القرائن التي يتهم صاحبها بسببها، ذلك لأن القرائن من الأمور الظاهرة التي يستدل بها على الباطن، فتفطن لمكر وتشبيه وتلبيس أهل المكر والتشبيه والتلبيس أو الجهل الذين يتهمون أهل العلم بأنهم يحكمون على النوايا أو البواطن، فإن أهل العلم أدرى بالتهمة وأسبابها وأدرى بحكم تهمة الباطن، وأتقى لله وأورع من هؤلاء الذين يطعنون في العلماء بغير وجه حق ويظنون السوء بهم، فكن على حذرٍ من أولئكم.

أقول: فإن لم يكن هو من هؤلاء الطلاب ولا الشراح الذين ذكرهم في كلامه وطعن فيهم بما

ذكره فقد سبق لك الجواب عن ذلك والكلام فيه. وإن كان منهم، فقد نادى على نفسه بالجهل، فما له إذًا وللدخول في تلك المسالك والولوج في تلك المضائق، وكل إناء بما فيه ينضح، وفاقد الشيء لا يعطيه.

وبعد هذا أقول: في هذا الكلام من أبي حفص طعن في أهل العلم وتهمة لهم بالتفريط والإهمال والتقصير في شرح وبيان شرط قبول كلمة التوحيد المنافي لردها والتمثيل له، حيث إن هذا الأمر لم يأخد العناية الكافية من الشراح –على حد زعمه –وهذا جهل بحال أهل العلم وبشرحهم وبكلامهم، أو سوء ظن بهم، وإذا كان العلماء أو الشراح لم يولوا هذا الأمرالعناية الكافية –على حد زعمه– فمن الذي يولي هذا الأمر العناية الكافيه إذًا؟! وما الظن بالطلبة إذًا إذا كان العلماء أو الشيوخ أو الشراح لم يولوا هذا الأمر العناية الكافية؟! إنهم لابد أن يكونوا في عماية عن هذا الأمر وفي جهل مطبق، بحيث إذا سألت أحد الطلاب أن يضرب لك مثلاً لهذا الأمر –ألا وهو شرط) القبول المنافي للرد) فسوف ترى عجباً عجاباً على حد زعمه، والعجب العجاب في كلامه يحمل هنا على أن هؤلاء الطلبة إما أن يسكتوا واجمين أمام هذا السؤال بحيث لا يحيرون جواباً وإما أنهم إذا نطقوا بأي جواب فإنه لا يكون صواباً. هذا حال كثير من الطلاب الذين يدرسون شروط لا إله إلا الله ومنها (القبول المنافى للرد) عند أبي حفص وهذا حال الشراح عنده أيضاً فلم يسلم منه هؤلاء ولا أولئك!! ولله في خلقه شئون.

وأقول: كان على أبي حفص أن يمثل بشرط القبول المنافي للرد، إن كان من أهل العناية الكافية بهذا الأمر دون سائر الناس، بحيث يكون قد قام بالفرض الكفائي الذي فرط وقصر فيه الأولون من الشراح!! وحتى يسقط الإثم والحرج عن الشراح من أهل العصر !!وحتى يرفع الجهل عن كثير من الطلاب الذين يدرسون شروط لا إله إلا الله ومنها) القبول المنافي للرد)!! وحتى لا يتركهم حيارى في بيداء من الأرض!! بحيث إذا سألنا أحد الطلاب أن يمثل لهذا الأمر لا نري عجبًا عُجابًا !!

أما إن كان –هو الآخر -لم يول هذا الأمر عناية كافية بحيث كان شأنه في ذلك شأن الشراح، فيالها من خيبة للشراح ما أعظمها إذ فرطوا في بيان هذا الأمر العظيم!! ولم يقوموا بما أوجبه الله عليهم من القيام بالفرض الكفائي من الشرح والبيان لمثل هذا الشرط الذي هو

أحد شروط هذه الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد!! التي هي أولى وأحق بالبيان الواجب من غيرها !!ويا لها من خيبة لهؤلاء الطلاب ما أشنعها إذ جهلوا مثل هذا الأمر العظيم المتعلق بالركن الأول من أركان الإسلام !!

أقول: وإن تعجب فعجب قوله) :وللفائدة: كثير من الطلاب (... إلى أخره

أقول: ما الفائدة في قولك هذا إذا كان هذا الأمر لم يأخذ العناية الكافية من الشراح، وكان كثير من الطلاب يجهلونه على حد زعمك؟! مع أنك لم ترفع حرجًا عن الشراح ولم ترفع جهلاً عن هؤلاء الطلاب!! إذا عُلم ذلك فليُعلم أن كلامه هذا مجرد دعوة كاذبة مخالفة للواقع، بحيث يصح أن يقال: إنها فاقرة لا فائدة، وإليك التدليل على كذب هذه الدعوى العارية عن البرهان والدليل وذلك بالنقل من بعض كتب أحد العلماء الأفذاذ الذين أولوا التوحيد عناية فائقة وكبيرة ألا وهو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد حكمي –رحمه الله تعالى– إذ قال رحمه الله تعالى –وهو يتكلم عن شروط شهادة أن لا إله إلا الله:-

وبشروطٍ سبعةٍ قد قيدت ..... وفي نصوص الوحي حقًا وردت

فإن لم ينتفع قائلها ..... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ..... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ..... وفقك الله لما أحبه

ثم أخذ –رحمه الله– في شرح هذه الشروط إلى أن قال عن الشرط الثالث وهو القبول :

)"و) الثالث (القبول) لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قص الله –عز وجل– علينا من أنباء ما قد سبق من أنباء من قَبِلَهَا، وانتقامه ممن ردها وأباها كما قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ((

وقال تعالى: ((ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ((

وقال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ((

وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب وما أعده لمن ردها من العذاب كما قال

تعالى: ((احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) إلى قوله: ((إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ((

فجعل الله تعالى علةَ تكذيبهم وسببَه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته، ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكارًا واستكبارًا ((أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ((

وقالوا ها هنا: ((أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ((

فكذبهم الله -عز وجل- ورد ذلك عليهم عن رسوله -صلى الله عليه وعلي آله وسلم- فقال: ((بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ)) إلى آخر الآيات.

ثم قال في شأن من قبلها: ((إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)) إلى آخر الآيات .

وقال تعالى)) :مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ((

وفي الصحيح عن أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله وعلى آله وسلم- قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)) اهـ كلام الشيخ حافظ بن أحمد حكمي -رحمه الله-

]المرجع معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى الأصول (فى التوحيد) ج١ ص ٤١٨ إلى ص ٤٢١، ط: دار ابن القيم، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، لسنة ١٤٢٣ هـ[

تنبيه :قد وقعت) واو) زائدة قبل البيت الثالث هنا، وقد جاء البيت في المتن المذكور في أول الكتاب ص ٣٢ بحذفها وهو الصواب .

أقول: قارن بين كلام الشيخ حافظ رحمه الله، وبين صورة المثال في كلام الحويني تجد الفرق

واسعاً والبون شاسعاً، ثم أقول لأبي حفص: هل ما ذكره الشيخ حافظ رحمه الله –في شرحه لشرط (القبول المنافي للرد) حق وكافٍ وشافٍ ووافٍ بالمقصود، أم كان الشيخ هو الآخر من جملة الشراح الذين لم يولوا هذا الأمر العناية الكافية على حد ما زعمته عن الشراح وظلمتهم بذلك خاصة أنك أوهمت القراء أنك أوليت هذا الأمر عناية كافية وأن عندك ما ليس عند غيرك مع أنك لم تَجُدْ علي القراء بمثال واحد !!

ثم أقول: إما أن تكون قد اطلعت على كلام الشيخ حافظ هذا وإما أن لا تكون قد أطلعت عليه فإن كنت لم تطلع عليه فكيف اتهمت الشراح بقولك) :ونظراً لأن هذا الأمر لم يأخذ العناية الكافية من الشراح (...

وإن كنت قد اطلعت عليه فإما أن يكون الشيخ حافظ عندك من جملة هؤلاء الشراح الذين لم يولوا هذا الأمر عناية كافية ولم يكن كلامه مقنعاً ولا كافياً لك للتمثيل لهذا الشرط ألا وهو (القبول المنافي للرد) المتعلق بهذه الكلمة العظيمة التي هي أصل الأصول!!

وإما أن يكون كلام الشيخ حافظ –رحمه الله– مقنعاً وكافياً لك، ويكون الشيخ حافظ –رحمه الله– ممن أولى هذا الأمر عناية كافية، فلماذا كتمت علم ذلك ولم تصرح به و لم تستثنه من عموم كلامك؟ !

حيث قلت ...) لم يأخذ العناية الكافية من الشراح (فلم تستثنه من العموم، هذا على فرض التسليم الجدلي بصدق كلامك فيمن سواه وإلا فقد مر أن كلامك هذا مجرد دعوى عارية عن البرهان بل البرهان على خلافها ونقيضها وأنك بهذه الإلزامات تدور بين أمور أحلاها مر والله المستعان.

وبناءً علي دعواك يقال ما أشد فقر المكتبات اليوم في طول بلاد الإسلام وعرضها إلى من يسد هذه الثغرة وتلك الخلة وذاك الفقر وذلك بتأليف مؤلف أو مصنف يمثل لشرط (القبول المنافي للرد) المتعلق بكلمة التوحيد، لأن هذا الأمر العظيم لم يأخذ العناية الكافية من الشراح!! وكان هذا واجباً في حق أبي حفص لأنه هو الذي أدرك هذه الحقيقة واكتشفها وعاجلنا وأسعفنا بهذه الفائدة !!

أقول: وهل أجريت بحثاً جاداً وإحصاءً دقيقاً حقاً بحيث خرجت بهذا الحكم وبهذه النتيجة التي ذكرتها عن هؤلاء الطلاب والشراح؟! أم هي مجازفة منك دفعك إليها التعصب للحويني

والتهـــــــــويش علـــــــــى الحـــــــــق؟ !

وهـــل هـــذه النتيجـــة الـــتي توصـــلت إليهـــا في صـــورة "فائـــدة !!"

هل كنت تعلمها من قبل شريطي الذي فيه انتقاد على الحويني أم إنها جدت فوراً عقب نزول الشريط دفعك إليها ما سبق ذكره؟! وإن كنت قد علمتها قبل شريطي فهل أفدت إخوانك بهـــذه الفائـــدة أم كتمتهـــا عـــنهم؟ !

وهل من البحث العلمي أن يعرض الباحث المشكلة ولا يضع أو لا يقترح لها- على الأقل- حلاً؟! وعلامَ يدل ذلك؟! وإذا كان هذا هو حال الشراح وحال كثير من الطلاب الدارسين لشروط لا إله إلا الله ومنها (القبول المنافي للرد) بحيث) إذا سألت أحد الطلاب أن يضرب لك مثلاً لهذا الأمر فسوف تري عجباً عجاباً (على حد تعبيرك فماذا سيرى من غير هؤلاء الدارســـــــــــين؟ !

ثم أقول لك :وهل المفسرون السلفيون كالطبري وابن كثير والسعدي لم يولوا هذا الأمر عناية كافية حينما يفسرون نحو تلك الآيات التي ذكرها الشيخ حافظ بن أحمد حكمي -رحمه الله-؟ !

وهل شيوخ الإسلام كأمثال ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب ومن سار على نهج السلف قبلهم وبعدهم لم يولوا هذا الأمر عناية كافية، حتى جاء زمن أبي حفص لكي يوقفنا على غور هذه المشكلة التي ساقها باعتبارها فائدة، ولم يضع مع ذلك لها حلاً ولا اقتراحاً لحـــــــــــل؟ !

وهل كُتُب التوحيد قديماً وحديثاً خالية فعلاً من بيان هذا الأمر وأصحابها لم يولوا هذا الأمر عنايـــــــة كافيـــــــة يـــــــا هـــــــذا؟ !

وإن ســـلمنا بـــدعواك -علـــى ســـبيل الفـــرض الجـــدلي- نقـــول :

أليس الله عز وجل قد ذكر في كتابه قصص الأنبياء مع أقوامهم، وكيف كان رد أقوامهم -الذين لم يؤمنوا- عليهم، وكيف كان موقف المؤمنين مما جاء به أنبياؤهم حيث لم يقبل الكفـــار مـــا جـــاء بـــه أنبيـــاؤهم وقبـــل المؤمنـــون مـــا جـــاءوا بـــه؟

قال تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (

أليس هذا الأمر في غاية الوضوح في كتاب الله عز وجل الذي قال الله عز وجل عنه: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ((فمن تدبر كتاب الله عز وجل -وبخاصة السور المكية- وجد هذا الأمر في غاية الوضوح بحيث لا يحتاج معه إلى مزيد بيان، وقد قال الله تعالى: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ((وقال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ((وقال تعالى: ((حم * والكتاب المبين ((وقال: ((طسم * تلك آيات الكتاب المبين ((وقال تعالى: ((وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ((

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة البينة في أن كتاب الله مبين، هذا على سبيل العموم وفي باب التوحيد وقصص الأنبياء مع أقوامهم على سبيل الخصوص .

أقول: أليس الواجب- والشأن ما ذكر- أن يظن بأهل العلم الخير -وأنهم ما سكتوا عن بيان هذا الأمر المذكور إلا لأنه في غاية الوضوح والبيان وأنه لا يحتاج معه إلى مزيد بيان؟! بدلاً من إساءة الظن بهم أو التقول عليهم بما ليس من حالهم؟! هذا إن سلمنا جدلاً بصحة دعوى أبي حفص، فكيف إذا كانت دعواه كاذبة مردودة وتهمته للشراح ولكثير من الطلاب الذين يدرسون شروط لا إله إلا الله ... تهمة جائرة ظالمة؟ !

وأقول: إن جعبتك العلمية قد شحت عن أن تجود بمثال واحد، فإما أن تكون جعبتك خاليةً من ذلك، وإما أن يكون فيها شيء وقفت عليه وظفرت به دون غيرك!! وكتمته مع مسيس الحاجة إلى معرفة ذلك، وهل يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة؟! على كلٍ فإنك تدور بين أمرين أحلاهما مر .

وأقول: أليس قوله) :ونظراً لأن هذا الأمر لم يأخذ العناية الكافية من الشراح (جرحاً لهؤلاء الشراح إذ قصروا وفرطوا في بيان هذا الأمر العظيم وأنه) لم يأخذ العناية الكافية (منهم على حد زعمه مع أنه زعمٌ عارٍ عن البرهان ودعوى عارية عن الدليل؟ !

وليعلم أن تهمته للشراح بذلك تهمة باطلة وطعن فيهم بغير وجه حق وجرح بدون بينة فطعنه مردود عليه، وجرحه مردود عليه، بل هو أولى بالاتهام والطعن والجرح من هؤلاء الشراح الذين تكلم فيهم وظلمهم.

وإن تعجب فعجب قوله في رده على بعض الإخوة الذين ردوا عليه في شبكة سحاب السلفية :

)وأسئل الله أن يهديكم إلى الإنصاف والحكم بالعدل (

أقول: فأين أنت من الإنصاف والحكم بالعدل في كلامك على الشراح وهؤلاء الطلاب خاصة إذا علم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة وأنه لا تزال طائفة منها ظاهرين على الحق؟ !

وتذكر أنك قلت :

)هل إذا تكلم عالم سلفي في آخر كلاماً مجملاً -دون تفصيل- نقبل الكلام بدون حجة ولا برهان؟(

وبناءً على كلامك أقول: إما أن تكون عالماً سلفياً وإما ألا تكون:

فإن كنت عالماً سلفياً -فهل يجوز أن تتكلم في آخر، بل آخرين كثيرين، بدعاوى ظالمة مجردة وعارية عن الدليل ومفتقرة إلى البرهان؟! وهل نقبل كلامك فيهم بلا حجة ولا برهان؟! بل كيف نقبل كلامك فيهم إذا كانت الحجة قائمة والبرهان منصوباً على فساد قولك وبطلان دعواك؟!

وإن لم تكن عالماً سلفياً، فهل يجوز أن تتكلم في آخر، بل آخرين كثيرين من السلفيين بدعاوى ظالمة مجردة وعارية عن الدليل ومفتقرة إلى البرهان؟! وهل نقبل كلامك فيهم بلا حجة ولا برهان؟! بل كيف نقبل كلامك فيهم إذا كانت الحجة قائمة والبرهان منصوباً على فساد قولك وبطلان دعواك؟ !

أقول :وليُتَذكر أنه قال في بعض ردوده علي بعض من رد عليه في الشبكة :

)إن إساءة الظن في الناس خاصة العلماء المحدثين -أمثال الشيخ الحويني- من أخطر ما يكون) اهـ

أقول: وهل إساءة الظن والطعن في هؤلاء الطلاب والشراح بما فيهم العلماء الكبار والأئمة الأجلاء هل هذا من أخطر ما يكون أم لا؟!

قال أبو حفص: ((من يطعن في الحويني دون التثبت ومعرفة منهج الشيخ، أسأل الله أن يرده إلى الحـــــــــق ((اهـــــــــــ

أقول: أليس من يطعن في شراح شروط الكلمة العظيمة كلمة التوحيد التي هي أصل الأصول، أليس من يطعن فيهم وفي طلابهم دون التثبت ومعرفة منهج هؤلاء الشراح وما هم عليه ، أليس أولي بأن يدعو الله لنفسه بأن يرده إلى الحق؟! إذ الإحسان إلى النفس بعبادة الله وحده مقدم علي الإحسان إلى الوالدين وغيرهما، ووقاية الإنسان نفسه النار مقدمة على وقايـــــــــة الأهلـــــــــين .

قـال تعـالى: ((وَقَضَـى رَبُّـكَ أَلاَّ تَعْبُـدُواْ إِلاَّ إِيَّـاهُ وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـانًا ((وقال)) :وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَـارِ ذِي الْقُـرْبَى وَالْجَـارِ الْجُنُـبِ وَالصَّـاحِبِ بِالجَنـبِ وَابْـنِ السَّـبِيلِ ((

وقـال تعـالى: ((يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا قُـوا أَنفُسَـكُمْ وَأَهْلِـيكُمْ نَـارًا ...)) الآيـة

قال أبو حفص في رده علي بعض الإخوة: ((كلام الشيخ مقبل –رحمه الله– مردود عليه، ولا يقبل لأمر هام: ((ما هو سبب الجرح، لماذا وصفه الشيخ بالبدعة)) ؟... إلى آخر كلامه

أقول: أليس كلامك في الشراح والطلاب مردوداً عليك من باب أولى ولا يقبل لأمر هام وهو أنه مجرد دعوى كاذبة على الشراح وهؤلاء الطلاب يكذبها البرهان والواقع؟! الجواب في هذا كلـــــــه عنـــــــد الألبـــــــاء .

ولْيُعلَم ها هنا أنني أحاكم أبا حفص إلى عباراته هو بغض النظر عن كونه قد أصاب فيها أم لا، فـإن الكـلام علـى عباراتـه سـيأتي في محلـه وفي حينـه إن شـاء الله .

ثم لْيُعلم أنني لم أعمد إلى استقصاء ما كتبه العلماء في تفاسيرهم وكتبهم حول شروط كلمة التوحيد عموماً وحول شرط القبول المنافي للرد خصوصاً لظهور ذلك في كتاب الله عز وجل ظهوراً لا يخفي مثله إلا على العميان. وإنما اقتصرت هنا على ذكر بعض الأمثلة التي تنقض دعوى أبي حفص من أسها وأساسها، وقد مر بك نقل عن الشيخ حافظ بن أحمد حكمي –رحمه الله– وها أنا أنقل كلاماً له في موضع آخر يدل على الاعتناء بالعقيدة والتوحيد وشـروط كلمـة التوحيـد ومنهـا شـرط القبـول المنـافي للـرد :

قال الشيخ حافظ –رحمه الله– في مقدمة كتابه" أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية

المنصورة" ص٣ ط دار الهدي النبوي - مصر – المنصورة – الطبعة الأولى لسنة ١٤٢٥ هـ ، قال ما نصه :

...)أما بعد، فهذا مختصر جليل نافع، عظيم الفائدة جم المنافع، يشتمل على قواعد الدين، ويتضمن أصول التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب ولا نجاة لمن بغيره يَدين، ويدل ويرشد إلى سلوك المحجة البيضاء ومنهج الحق المستبين، شرحت فيه أمور الإيمان وخصاله، وما يزل –كذا وأظنه وما يزيل– جميعه أو ينافي كماله، وذكرت فيه كل مسألة مصحوبة بدليلها، ليتضح أمرها وتتجلى حقيقتها ويبين سبيلها (...

إلى أن قال رحمه الله) :ورتبته على طريقة السؤال ليستيقظ الطالب وينتبه، ثم أردفه بالجواب الذي يتضح الأمر به ولا يشتبه ...) إلى آخر ما قال رحمه الله .

وقال في ص٩: ([س١٩] ما هي شروط شهادة أن لا إله إلا الله التي لا تنفع قائلها إلا باجتماعها فيه؟

الجواب :شروطها سبعة، فذكر الأول والثاني والثالث ثم قال :

)الرابع: القبول لها فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياتها) ثم ذكر سائر الشروط السبعة وذكر دليل اشتراط كل شرط من الكتاب والسنة إلى أن قال في ص١٠: ([س٢٣] ما دليل اشتراط القبول من الكتاب والسنة؟

الجواب: قال الله تعالى في شأن من لم يقبلها: ((احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ)) إلى قوله: ((إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ)) الآيات، وقال النبي–صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم ..." فذكر الحديث الذي مر نقله من كتاب (المعارج) له .

وبهذين النقلين فقط قد تهاوت دعوى أبي حفص حيث قال :

...)ونظراً لأن هذا الأمر لم يأخذ العناية الكافية من الشراح ...) اهـ

وتبين أنه هو الذي أتى بالعجب العجاب والقول البعيد المجانب للحق والصواب .

وفى الختام أنقل كلامًا للشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله تعالى– بخصوص ما نحن بصدده، قد ذكره ضمن جوابه عن أحد الأسئلة الموجهة إليه حيث قال –رحمه الله تعالى– بخصوص شروط كلمة التوحيد –إتماماً للفائدة– حيث قال –رحمه الله:-

)وقد ذكر بعض أهل العلم أن شروطها ثمانية جمعها في بيتين فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ..... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ..... سوي الإله من الأشياء قد أُلِها

قال رحمه الله: (وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها (

قلت: ثم أخذ رحمه الله في شرحها إلى أن قال:

)السابع: القبول لما دلت عليه، ومعناه أن يقبل ما دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به (

انتهى من كتاب "تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام" تأليف الفقير إلى عفو ربه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، إعداد: محمد شايع الشايع، ط١ - الرياض: دار الفائزين، ١٤١٤هـ من ص٢٤ إلى ص٢٦، ضمن جوابه عن السؤال رقم ٣ المذكور في ص ٢٢ من الكتاب .

وصلى الله وبارك على محمد وعلى آله وسلم .

انتهى في ليلة الأربعاء الموافق الرابع عشر من ربيع الأول لعام ١٤٢٧هـ

كتبه أبو بكر بن ماهر بن عطية المصري – المنصوري